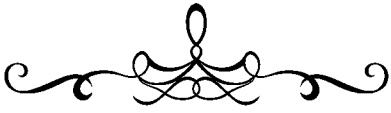

"سوتجو إمام"، وصمود مدينة "مرعش"

وُلد "سوتجو إمام" بحيّ "فوزي باشا" بمدينة "مرعش" جنوب تركيا عام (١٨٧٨م)، واسمه الأصليّ "عليّ"، والده "عمر أفندي"، ووالدته السيّدة "أمينة"، كانت عائلته تتألّف من أربعة أطفالٍ منهم ثلاث بنات، وبينما كان يكتسب رزقَه ببيع اللبن في حي "أوزون أولوك" بـ"مرعش"، كان إلى جانب ذلك يعمل إمامًا متطوّعًا في جامع جنارلي؛ عُيِّنَ "سوتجو إمام" -مطلق أول رصاصة على الفرنسيّين في الحادي والثلاثين من أكتوبر/ تشرين الثاني عام (١٩١٩م)- ساعيًا بالبلديّة مكافأةً له على تضحيته، كما وُكِلتْ إليه إدارة المِدفع بالقلعة وذلك عقِب طردِ الفرنسيين من "مرعش" في العاشر من فبراير/شباط عام (١٩٢٠م)، أي بعد تحريرها.

نصيب الأسد

قد بات الشرق الأوسط ساحةً لتنافُسِ الدول الغربيّة بدءًا من القرن التاسع عشر، فقد اهتمّ الإنجليز بعد احتلال "عدن" بالاستيلاء على "سورية" وجنوب الأناضول بغرض استخدامها قاعدةً عسكريّة للدفاع

عن قناة السويس ومصر، لكن في أثناء الحرب العالميّة الأولى اضطرت إنجلترا -تحسُّبًا منها لمخاطر يمكن أن تقع في المستقبل- للإذعان لمطالب فرنسا في سورية والأناضول الجنوبيّة، علاوةً على رغبتها أن تجعل من فرنسا منطقةً عازلةً، تمنع بها توغُّلَ روسيا جنوبًا، وتتحاشى مقابلتها وجهًا لوجه في الشرق الأوسط.

في المدّة ما بين التاسع إلى السادس عشر من مايو/أيار عام (١٩١٦م) تمّ توقيعُ اتّفاقٍ سرّيّ بين بريطانيا وفرنسا بمدينة "بترسبورج" الروسيّة، مُنح للفرنسيين بموجبه مناطق: الموصل وأضنه ومرعش وأورفا وعنتب وجزءٌ من سورية؛ أمّا بغداد و"مزوبوتاميا"، فقد تقرّر بقاؤهما في حوزة الإنجليز، إلا أنّ هزيمة ألمانيا في الحرب العالميّة الأولى، وانسحاب روسيا من الحرب لتولي شؤونها الداخليّة عقب الثورة البلشفيّة، أسْفَرَا عن تطور أحوال الشرق الأوسط لمصلحة إنجلترا.

كانت سياسة إنجلترا تصبو إلى الاستحواذ على نصيب الأسد من الدولة العثمانيّة المحلولة عراها عقب الحرب، فكانت تحارب القوات العثمانيّة في جبهة سورية خاصّةً، وحنثت بوعودها لفرنسا زاعمةً أنّها تحمّلت عبء الحرب كلّه، وبدأت غزو الأناضول من الجنوب في أعقاب هدنة "مندروس" المعقودة مع الدولة العثمانيّة(١٤٨).

جند بريطانيا المسلمون

بدأت أولى انتهاكات الإنجليز لهدنة "مندروس" في جبهة سورية، وتحديدًا في "إسكندرونه"، إذ احتلوها في التاسع من نوفمبر/تشرين الثاني

(١٤٨) أ.م. يشار أقبيق، مرعش الجبهة الجنوبية في النضال القومي، أنقره ١٩٩٠م، ص ٥.

عـام (١٩١٨م)، ولـم يكتفوا بذلك، بل رغِبـوا في إخلاء ولاية "أضنه"[١٤٩] أيضًـا، وبعـد أن حـلّ الإنجليـز الجيـش الثانـي العثمانـي طبقًـا لمعاهدة "موندروس"؛ احتلوا "أضنه" أيضًا في ديسمبر/كانون الأول (١٩١٨م)، ثم "عنتب" في غرّة يناير/كانون الثاني عام (١٩١٩م).

بعـد احتـلال "عنتـب" أصبـح مـن الواضـح أنّ الدور قد حـان على "مرعـش"، فقبل الغزو نُقلت المعدَّات العسـكريّة العثمانيّة بـ"مرعش" إلى مدينـة "قيصـري"، ولـم يبـقَ في المدينـة أيُّ قوّةٍ عسـكريّةٍ عثمانيّةٍ سـوى سـريّةٍ واحـدةٍ بقيـادة الملازم "جمال باشـا"، وبعد رحيـل الجيش التركيّ عـن المنطقـة، قام الإنجليـز باحتلال "مرعـش" في الثاني والعشـرين من فبراير/شـباط عام (١٩١٩م) متذرعين بالفقرة السـابعة مـن المعاهدة التي تُجيزُ للإنجليز احتلال ودخول أي منطقةٍ تهدّد الجيش البريطاني، وكانت القوات البريطانيّة بقيادة "ماكس أندريو" عبارةً عن فوجٍ من الفرسان يضمّ ضبّاطًا وجنودًا مسلمين.

غمرت السعادةُ الأرمنَ بالمدينة، فنزلوا من شارع "حكومة" وبأيديهم طاقـات الزهـور، تعبيرًا عن فرحهم بدخـول البريطانيّيـن، وتتقدّمهم فرقة موسيقا "رهبان طراسنتا"، واستقبلوا الكتائب البريطانيّة عند منطقة "الشيخ عادل" بجنوب المدينة، وبلـغ طيشهم إلى أبعد مدى، فكانوا يهتفون بأعلى صوتهم قائلين:

''عاش الإنجليز، عاش الأرمن، وليسقط الأتراك''.

(١٤٩) أضنه: محافظة تقع على نهر سيحان، على بعد ٣٠ كم من البحر الأبيض المتوسط جنوب الأناضول.

الفرقة الموسيقيّة تتقدم الحشود، يليها الأرمن، ومن خلفهم القوات البريطانيّة؛ فذاك مشهدٌ أثّر في نفوس جموع أهالي "مرعش"؛ إذ كانت تصرّفات الأرمن لا يمكن تحمّلُها في الواقع، لكن ما باليد حيلة، وحين اجتازت القوات البريطانيّة منطقة "أُوزُونْ أُولُقْ" متّجهة إلى ثُكنة الجيش، ارتفع صوت الأرمن أكثر، فأخذوا يهينون كلّ تركيّ يرونه في الشوارع الجانبيّة، وعند مجيء الإنجليز لمشارف الثُكْنة، أمر قائد الحرس التركيّ الملازم "جمال" جنودَ السريّة هناك بحمل السلاح تأهّبًا لأي قتالٍ قد يحدث؛ وعندما رآهم القائد الإنجليزيّ، غيَّر طريقه وهو يوبِّخ الأرمن، وساق قوَّاته تجاه المدرسة الأمريكيّة(١٥٠).

موقف أهالي "مرعش" من الاحتلال

يروي "محمد جَبه" -الذي كان يعمل معلّمًا في "بازارجق" إبّان احتلال "مرعش"- مشاهداته عن الاحتلال على النحو التالي:

> "قررتُ الذهاب إلى مرعش للوقوف على ما أحدثه الاحتلال الإنجليزيّ من تأثيرٍ في نفوس إخواننا هناك، واستطلاع لرأي الناس عن كثب تجاه الاحتلال، فامتطيتُ جوادي، ورحلت، وفي النهاية وصلتُ إلى طريق "عنتب-مرعش" الرمليّ الواقع عند موقع "قابي جام" على بعد ساعتين ونصف من "مرعش"، ثم سرتُ قليلًا، فإذا بكتيبة فرسان هنديّة إنجليزيّة كانت في طريقها من "عنتب" إلى "مرعش"، فتنحّيت جانبًا حتى يمرّوا من أمامي.

(١٥٠) عادل بغدادليلر، أوزون ألوق، إسطنبول ١٩٧٤م، ص ٢٥-٢٦.

كنت أنظرُ متألّمًا إلى هؤلاء المسلمين المغلوب على أمرهم، المُراقِةِ دماؤهم في جبهاتنا لصالح الإنجليز، العاملين على أسرِ أمّةٍ مسلمة مثلهم، كانوا يُلقون عليَّ تحيّة الإسلام أثناء مرورهم بجواري، وكدتُ من حزني أفقد وعيي، ثم سمعتُ صوتًا بجانبي، فلما التفتُّ إذا بي أمام موزّع البريد "خليل آغا"، وكان عجوزًا ناضجًا، وهو عسكريٌّ دَرَكٍ متقاعدٌ، وكان يذهب مثلي إلى "مرعش"، فرويتُ له مشاعري كما أحسّها.

بعد أن انتهيتُ من حديثي، قال لي:

- لا تشغل بالَك أبدًا، ولا تحزن يا أستاذي؛ فلقد سمعتُ كثيرًا من أكابر قومنا عن سياسة الإنجليز الذين يحلّون أراضينا، فهم إذا أرادوا إقامةَ مستعمرةٍ في بلدٍ ما أرسلوا إليهم كتائب تتوافق مع طبيعتهم، لذا تجدهم يرسلون الهنود المسلمين إلى "مرعش"، ويريدون ملاطفةَ الشعب بهذه الطريقة، وإقناعهم بأنّ الحكومة البريطانيّة سوف تنتهج إدارةً عادلةً، إلا أنّ جهدهم وأمانيهم ستذهبُ سُدًى، لأن أهالي "مرعش" لا يشبهون شعوبًا أخرى احتلوها، حين يقرّر البريطانيّون احتلال دولة ما لا يتعجّلون ألبتّةَ لتحقيق هذا الأمر، بل يتصرّفون كالسِّلّ، حيث يتبعون الطريقةَ نفسَها التي يحاصر بها السِّلّ جسدًا يدخله خُلسة، وحينما يشعرون أنّهم حاصروا جسد الضحيّة تمامًا، ويتأكّد لديهم أنّهم خدّروا الرأي العامّ بقدر كافٍ، عندئذٍ تظهر نواياهم بسهولةٍ، فيقتلون الناس بدمٍ باردٍ، لكنّهم لن يستطيعوا أن يجدوا في هذه المنطقة مَن يطبّق أجندتهم وأوامرهم، فأهالي مرعش أناسٌ يحبّون دينهم ووطنهم، ويريدون أن يَحْيَوا حياةً حرّةً بشرف، ولسوف ترى في الوقت اللاحق كيف سينتصرون على أعدائِهم بإذن الله تعالى.

فـي الأعوام اللاحقـةِ، تعجّبتُ لنبوءة عسـكريّ الـدَّرَك العجوز هذا، حيث تحقّق ما قاله بحذافيرِه [١٥١].

الفتاة الأرمنيّة المسلمة

بـدأت العصابـات الأرمنيّة بالمدينة بعـد أن أذِن لهم الإنجليز البحثَ عن رفقائهم من ذوي الأصل الأرمنيّ معتنقي الإسلام في الأعوام السابقة، ونُقـل هـؤلاء المغلوبون علـى أمرهم إلى مقـرّ القيادةِ البريطانيّـة، وكانوا يأخذون النسـاء والفتيات الأرمنيّات المسلمات والمتزوّجات من الأتراك من بيوتهن عنوةً.

حينمـا أعربـت فتاةٌ أرمنيّة مسـلمةٌ متزوّجة من الحـاجّ "محمد بن قَرَه كُوجُـوكْ" مـن حيّ "أَسَـدِيَوانْلِي" أنّها لا ترغب فـي الانفصال عن زوجها والذهـاب إلى مقـرّ القيادة، قـام "أرتين" -أحـد أفراد العصابة الغاشـمة- بضربها، ونقَلَها قسرًا رغم مقاومتها، ونكَّل بها في الطريق، وتُوفّيت المرأة الشـابّة فـي الأيام التاليـة بانهيارٍ عصبيّ مـرّت به، وبعد مـدّةٍ قصيرةٍ تُوفّي حموها لتأثُّره النفسيّ البالـغِ بتلك الواقعة.

فـي أثنـاء سـير جِنـازة الرجـل للدفـن، إذا بجـزار من الأرمـن يُدعَى "بوبـوش" يعتـرض طريـق الجِنازة مـع عـددٍ من أقرانه يحملون السـلاح، ويقـول: إنّ المتوفَّـى كان مدينًـا لي، ولن أسـمح بدفنـه إلا بعد أداء ذلك الدين.

(١٥١) مراد سرت أوغلو، ملحمة مرعش التي حررت نفسها من أيدي الإحتلال، جريدة ترجمان، ١٩ مارس ١٩٧٠م، ص ٣٠٢٥.

حقيقةُ الأمر أنّ المتوفى لم يكن مدينًا لذاك الأرمنيّ، إنّما كان غرضُ ذلك الجزّار إهانةَ "محمد أفندي" وعشيرته، ونهبَ النقود من أسرة "قره كوجوك"، وإذلال كيان أسرة زوجِ تلك المرأة الأرمنيّة التي أسلمت.

كان "إسماعيل كمال بك" واليًا على "سيواس" في أثناء الاحتلال البريطانيّ، وكان يتواجد في "مرعش" أثناء تهجيرِ الأرمن منها، فأقام بعض الأرمن دعوى عليه، وبضغطٍ من البريطانيّين أُحضر إلى "مرعش" وتمّت محاكمتُه من قبل المحكمة التركيّة بعد اعتقاله، ووصل عددُ أصحاب الدعوى عليه إلى نحو خمسين، وطالبوه بمئات الآلاف من الليرات كفالةً عنه؛ ولما ادّعوا جميعًا أنّه ساقهم إلى المنفى ظلمًا، وأضرّ بهم؛ طالبوا بمعاقبة الوالي على تلك الجريمة.

تابع الإنجليز القضيّة عن كثبٍ، واتّخذوا مراقبًا لهم في المحكمة، ولم يدخل أصحاب الدعوى قاعةَ المحكمة رغم حضورهم، ونداء أسمائهم، وانسحبوا وانصرفوا بعد أن تجوّلوا مدّة في الرَّدْهِ، وكانوا يريدون بهذا توضيح عدم ثقتهم بالمحكمة التركيّة، ورغبتهم في نظر الدعوى أمام المحكمة البريطانيّة داعين الإنجليز إلى التدخُّل، وفي النهاية نالوا ما أرادوا، وضمنوا تدخّل الإنجليز في الدعوى، وتمّ توجيه الاتهام لـ"إسماعيل كمال بك"، وسِيق إلى حلب مع اثنين عُدّا شريكين له في الجريمة، وحُبسوا هناك(١٥٢).

(١٥٢) سرت أوغلو، المصدر السابق، ص ٣١-٣٢.

مخاوف من الاحتلال الفرنسيّ

بموجب اتفاقيّة "سورية" الموقّعة بين الفرنسيّين والإنجليز في الخامس عشر من سبتمبر/أيلول عام (١٩١٩م)، تقرّر احتلال المنطقة من قبل القوات الفرنسيّة، فدخلوا مدينة "عنتب" أوّلًا، وجاش الأرمن في المدينة فرحًا لوجود كتيبة أرمنيّة ضمن القوّات الفرنسيّة، واستُقبل الفرنسيّون بالأعلام، والزهور، والاحتفالات عظيمة.

كان الأرمن في "مرعش" يريدون هم أيضًا مجيء الفرنسيّين، لأن ما تعذَّر عليهم ارتكابه من جرائم في ظلّ الاحتلال البريطانيّ سيتيسّر لهم حالَ قدومِ الفرنسيّين.

وفي تلك الأثناء أَرسلَتْ قيادة الفيلق الثالث عشر برقيّةً إلى وزارة الداخليّة، فحواها كالتالي:

> ''وفقًا للمعلومات التي وردت من سورية أنه بدأ تهجيرُ الأرمن من "فِلَسطين" إلى "كليكيا" ضمن تخطيط الفرنسيين لإقامة دولة أرمنيّة تابعة لهم في ولايات أضنه ومرعش وعنتب وأورفا''.

خبرُ قدوم الفرنسيّين إلى مرعش كان مُدهشًا ومُرعِبًا للجميع، إذ ذاعت الأخبار عن تشكيل الفرنسيّين فوجًا من الأرمن يُعرف بفوج الانتقام، وشاعت أنباءٌ عن بلوغ مآسٍ ومظالم تُمارس على الأتراك في منطقة "أضنه" على نحو لا يمكن تحمّله، فتحاشى أهل "مرعش" السفر إلى "أضنه"، ونُظّمت مسيرةٌ في الجامع الكبير ندَّدُوا فيها بالمآسي التى تحل بالمنطقة، وبينوا أن "مرعش" ستؤول إلى نفس المصير، كما قام وجهاء "مرعش" عن طريق وزارة الخارجيّة بإسطنبول بالإعراب عن

رفضهم مجيء الفرنسيّين، وقدموا طلبهم لسفارتي بريطانيا وأمريكا وممثليهم العسكريّين ووزارتي خارجيّتهما، مفاد هذا الطلب:

"في حالة بقاء مرعش تحت ظلّ الاحتلال حتى توقيع الهدنة بين الطرفين، فإنه من الأفضل لها أن تبقى تحت ظلّ الاحتلال البريطاني"

كما أُعرِبَ في هذا البيان عن استنكار الاحتلال الفرنسي لـ"مرعش" بشكل قطعيٍّ.

تشبه الجنود الأرمن بالفرنسيّين

رغم المحاولات المبذولة من قِبل أهالي ومسؤلي مرعش إلا أنّ الفرنسيّين دخلوا المدينة يوم الأربعاء التاسع والعشرين من أكتوبر/تشرين الثاني عام (١٩١٩م)، وكانت مراسم الاستقبال المُعدّة لهم أكثر إشراقًا من تلك المعدّة للإنجليز، حيث امتلأت أسطح منازل الأرمن على جانبي الطريق بالنساء الأرمنيّات، وبعد العصر دخل المدينةَ قائدُ القوات الفرنسيّة، وخلفه فرسان جزائريّون، يتبعهم المشاة الفرنسيّون، وكان الأرمن يصيحون -وأعلامُ المنظمات الأرمنيّة والرايات الفرنسيّة في أيديهم-:

"فليسقط السلطان، فليسقط الأتراك، وليحيَ الفرنسيّون، وليحيَ الأرمن".

كان المتطوّعون من الأرمن يشكّلون الغالبيّة العظمى من الجنود الفرنسيّين.

بدأت الاضطرابات في المدينة مع قدوم الفرنسيّين إلى مرعش، وكان الأرمن يستفزّون الناس بزيّ الجنود الفرنسيّين، ويهجمون على

مـن يقابلونهم، فيضربونهم، ويُلحِقون بهم الأذى، أما الضبّاط الفرنسـيّون فكانوا يكتفون برؤية هذا المنظر الأليم من بعيد.

في يوم الجمعة الحادي والثلاثين من أكتوبر/تشرين الثاني، أي: اليوم الثانـي للاحتـلال، تجـاوزت صفاقةُ الأرمـن أبعدَ مدى؛ فكانـوا يتقدّمون الجنود الفرنسـيّين ويطوفون بهم الأسواق وجنبات الحيّ، مهينين الأتراك المعترضيـن طريقَهـم ومتطاوليـن بالألفـاظ علـى دين النـاس وتقاليدهم وعاداتهـم، كمـا قاموا أثناء ذلك بالاعتداء بالضرب على موظّفِ بريدٍ كان مارًّا بالطريق، وجرحوه.

وقبيـل المغـرب، وإذا بعامل خمرٍ أرمنيّ يقـوم بتحيّة جنودٍ من الأرمن يرتدون الزيّ الفرنسيّ مقدِّمًا لهم خمرًا صنعها هو بنفسه، حتى أنهم سَكِروا وطغت عليهم حالةُ العربدة والهذيان وهم يمرّون في أسواق المدينة متّجهين إلى ثكناتهم فيسـبون هذا ويُضايقون ذاك... وفي أثناء مرورهم على سـوق "أوزون أولوك" رأوا بعضَ النسوة وهنّ يخرجن من حمام "أوزون أولوك"، وينزلـن مـن الميدان الصغير إلى الطريق الرئيـس، وزاد تطاوُلُهم لأنُّهم إلى ذلـك الحيـن لم يروا اعتراضًا على ما ارتكبـوه من تجاوزات، ولم يواجَهوا بـأيّ ردّ فعـل، وعندمـا اتّجه النسـوةُ وغادرنَ الشـارع الرئيـس إلى الطريق الضيّق، اقترب أحدهم منهنّ، ونزع برقـعَ أصغرهنّ ممّن تسير في مقدّمتهنّ ثمّ مزّق البرقـعَ وأزاله عن وجهها وهو يصرخ قائلًا:

– لـم تعـد هـذه الأرض للأتـراك بعد الآن، بـل هي للفرنسـيّين، ولا يسمح سير امرأةٍ بالبرقـع في بلدٍ فرنسيّ!.

ثم بدأ في التحرّش بها، وبعد أنّ مزّق برقعها وتحرّش بها فقدت المرأة المسكينةُ وعيَها وسقطت على الأرض، فصرخت الأخريات، وعلى صراخهنّ هُرع الناس الجالسون على المقهى قرب مكان الحادث إلى هناك، وهدّدوا الأرمن وطالبوهم بالسير في طريقهم المعتاد، إلا أنّ الأرمن ردّوا على تلك التحذيرات بالسباب والرصاص الحيّ حيث أصيب اثنين من المواطنين جرّاء طلقات النار، أحدهما "جقمجي سعيد" وكان جرحه خطيرًا، فهَوَى على الأرض، واستُشهد بعد مدّةٍ قصيرةٍ، ولما تعالَت أصوات الأعيرةِ الناريّة، سُمعت أصوات نعال دوريّة الفرسان الإنجليزيّة، ومع ذلك لم يكفّ الأرمن عمّا يفعلون.

سوتجو إمام

فجأةً ظهر بطلٌ وسطَ الشغب، إنه "سوتجو إمام"، وصل كالبرق وسحبَ مسدسه وأطلق النار على الأرمنيّ الطاغي -الذي قام بتمزيق حجاب المرأة وجَرْحِ "جقمقجي سعيد"- ثمّ توارى بسرعةٍ عن الأنظار، لكن ذلك الأرمنيّ المصاب توفّي صباح اليوم التالي ولم ينفعه العلاج الذي قدّمه له أصحابه بعد أن نقلوه إلى الثكنة.

انطلق "سوتجو إمام" بفرسٍ أخذه من "نَلْبَنَتْ بكر" إلى "محرم بك بن بايزيد" المقيم في قرية "برتيز"، وكان الأرمن والفرنسيّون يبحثون عنه في كلّ مكان، ورغم الضغط المتواصل من الاحتلال على الأتراك من أجل الإمساك بـ"سوتجو إمام" إلا أنّهم فشلوا في العثور عليه.

اختبأ ذلك البطل -الذي يزداد حبّه في القلوب- بمنازل القرية وبساتينها نهارًا، وفي منازل المدينة ليلًا، ثمّ عاد "سوتجو إمام" إلى المدينة عندما غادر الفرنسيّون "مرعش" صباح العاشر من فبراير/شباط عام (١٩٢٠م).

شرارة حرب الاستقلال

بتلك الرصاصة الأولى التي أُطلقت على العدوّ في "مرعش" تبيّن للمحتلّين أنّ ما ارتكبوه لن يمرّ من دون عقاب، وأظهرت تلك الحادثة -التي أدّت إلى حملات دهم فرنسيّةٍ وأرمنيّةٍ مكثّفةٍ على حدٍ سواء- أنّ أهل مرعش لن يخضعوا للاحتلال، وأنّ أيّ يدٍ تتطاوَلُ على دينهم وشرفهم سوف تُكسرُ.

لقد روّع قتلُ أرمنيّ يرتدي الزيّ العسكريّ الفرنسيّ الأقليّة الأرمنيّة، بيد أنّه رفع من روح الأتراك المعنويّة.

إن "سوتجو إمام" يُعَدُّ أوّل شخصٍ من أهل مرعش يرفع السلاح على قوّات الاحتلال، وقد قتلت رصاصاته أرمنيًّا واحدًا فقط، ورغم هذا أصبحت هذه الواقعة مبشِّرةً بحرب الاستقلال؛ لأنّها كانت سبب انتفاضة الأمّة كلّها، وآمَنَ الناس بقوّتهم وقدراتهم في مقاومة الاحتلال، وتضاءلت قوات الاحتلال في عيون أهالي مرعش(١٥٣).

كما أدّت بطولة "سوتجو إمام" إلى تماسُك الناس التامّ بعضهم ببعض، وبدأ بعد تلك الواقعة إحياء أجمل نماذج الوحدة والتكاتف الجماعيّ في المدينة.

(١٥٣) حسن رشيد تانكوت، في طرق مرعش، أنقره ١٩٤٤م، ص ٢٠.

بـدأت المعارك فـي المدينة يوم الحادي والعشـرين مـن يناير/كانون الثاني عام (١٩٢٠م)، وحمل السلاحَ أهالي "مرعش" بمختلف أعمارهم، ورصّـوا صفوفهـم وتكاتفـوا فيمـا بينهم، فحقّقـوا نصرًا مبينًـا، وفي نهاية المعارك الضارية المسـتمرّة اثنين وعشرين يومًا اضطرّت القوّات الفرنسيّة إلـى الانسـحاب حتى مدينة "إصلاحية" -التـي تُعتبر من ضواحي عنتب- بعـد قصـف المدينـة قصفًا عنيفًا ليلة العاشـر من شـهر فبراير/شـباط عام (١٩٢٠م).

بعد تحرير المدينة عُهد بإدارة المِدفع في الحصن إلى "سوتجو إمام"، وحينمـا وليَ "عبد المجيد أفندي" العرش العثماني في الثالث والعشـرين من نوفمبر/شـباط عام (١٩٢٢م)، صعد "سـوتجو إمـام" البطلُ إلى القلعة لإطـلاق مائـة وواحد مـن الطلقـات، إلا أنّه أُصيب بحـروق خطيرة على إثـر اشـتعال البـارود قبـل أن يتمكّن من إطـلاق القذائف، ورغـم مداواة هـذا الوطنيّ الباسـل في المستشـفى الألمانيّ إلا أنّـه تُوفّي بعد يومين في الخامس والعشـرين من نوفمبر/شباط عام (١٩٢٢م)، ودُفن بمقبرة جامـع "جنارلي" مشيَّعًا وسط الدموع.

المجاهد المغوار الذي قضى على العصابات اليونانيّة التي تجبي الإتاوات من الأهالي خلال سنوات احتلال إسطنبول..

المقاتل الذي لا يعرف معنى الخوف، ويتقدّم الفدائيّين دائمًا في المعارك والهجمات..

البطل الشعبيّ الأسطوريّ الذي قدّم خِدْمات جليلةً خلال حرب الاستقلال أثناء تحرير «قاندرا» و«أدابازار»..

الوطنيّ الذي رفض وسام الاستقلال الممنوح له قائلاً:

"قاتلنا لتحرير وطننا، لا لوسامٍ أو نيشان".

(إبسز) رجب رئيس